الصباح الإسلامية
08
العدد 2295 - السنة الثامنة
الجمعة 10 محرم 1437 - الموافق 23 اكتوبر 2015
Friday 23 October 2015 - No.2295 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

في القرآن الكريم إرشاد للمسلمين بأنهم مأمورون بالسعي في تحصيل كل أنواعها

الإسلام دين القوة والعزة

■ الدين الحنيف في حقيقة ذاته دين التقدم بجميع الميادين الحيوية ويدعو إلى كل تقدم بكل المجالات

■ لم يحصر الله العباد في نظام خاص في شؤون الاقتصاد ونحوها مما يتعلق بمعاش الناس بل جعل ضوابط عامة وحدودا للواجب والمحرم فيها

فإن دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه لعباده، وكل خير للعباد في دينهم ودنياهم فهو مبين في كتاب الله أحسن بيان وأتمه، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:89]. والله سبحانه هو خالق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم وينفعهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:14].

وأما ما يتعلق بالقوة: ففي القرآن العظيم إرشاد للمسلمين بأنهم مأمورون بالسعي في تحصيل كل أنواع القوة في جميع جوانبها اقتصاديا، وعسكريا، وغير ذلك؛ لإظهار دين الله، والتمكين له في الأرض، وأن الإسلام لا يدعو إلى الرهبانية والعجز والإخلاد للأرض، بل يدعو إلى الأخذ بكل أسباب القوة جميعها، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال:60].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ودين الإسلام الذي نتكلم باسمه - الذي هو تشريع رب العالمين جل وعلا - لا يمكن أن يكون صخرة تعثر في طريق التقدم، بل هو دين كل تقدم في كل ميادين الحياة، فدين الإسلام يدعو إلى التقدم والقوة في جميع ميادين الحياة، فما يخيله الكفرة الإفرنج من أنه دين ركود وجمود ودعة وإخلاد إلى الأرض، وأن المتمسك به لا يمكن أن ينهض، ولا يساير ركب الحضارة، كلها فلسفات شيطانية لا أساس لها، تروج على ضعاف العقول.

أما دين الإسلام فهو في حقيقة ذاته دين التقدم في جميع الميادين الحيوية، فيدعو إلى كل تقدم في جميع الميادين الحيوية، إلا أنه يعلم الناس أن هذه الدنيا ليست فوضى، وأن عليها ربا حكما عدلا هو خالق كل شيء، ومدبر كل شيء، ومنه كل شيء، وإليه مصير كل شيء، هو الذي خلق هذه الأرض والبحار، ونصب هذه الجبال ورفع السماوات، وخلق هذا الخلق، وشق أعينهم، وصبغ بعضها بصبغ أسود، وبعضها بصبغ أبيض، وفعل بهم ما هو معروف، هذا الرب هو الذي له السلطان الأكبر، والكلمة العليا، فلا يصدر إلا عن أمره، فهو (جل وعلا) الحقيق بأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وهو (جل وعلا) أنزل كتابا مبينا محفوظا من كلامه (جل وعلا)، وسنة نبوية على نبي كريم، بين فيها معالم الحياة، وأقام فيها أسس الدنيا التي إذا مشت عليها قامت بالعدالة التي لا نظير لها، والأمن والطمأنينة والرفاهية، وانتظمت علاقاتها على أكمل وجه، مع إرضاء خالق السماوات والأرض، والعمل لدار الكرامة والخلود في الجنة في الدار الأخرى.

وإذا نظرتم في القرآن فإنه لا يدعو إلى الإخلاد والضعف والعجز، لا وكلا، بل إنه يدعو إلى التقدم والقوة في جميع ميادين الحياة، اقرءوا آية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: آية 61] فتجدوا نص هذه الآية الكريمة يأمر بإعداد القوة، وهو مساير للتطور مهما بلغ التطور، ولو مما لا يتصوره الإنسان، فالمتكاسل الذي لا يعد القوة لرد الكفاح المسلح، وقمع أعداء الله، هو مخالف لنظام القرآن، غير ممتثل أمر الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. وإذا نظرتم في القرآن تجدونه يبين معالم السياسة، ومعالم الاجتماع، ومعالم الاقتصاد على أبدع الوجوه وأكملها في جميع مرافق الحياة .اهـ من العذب النمير.

ومن مظاهر حسن الإسلام في مثل هذه القضية: أنه لم يحصر العباد في نظام خاص في شؤون الاقتصاد ونحوها مما يتعلق بمعاش الناس، بل جعل ضوابط عامة وحدودا للواجب والمحرم فيها، وترك للعقل البشري مجال الاجتهاد والإبداع فيما لم ينه عنه الشرع من أمور الدنيا، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم». أخرجه مسلم.

ومن الاهتداء بهدي القرآن الكريم: أخذ تفاصيل العلوم الاقتصادية وغيرها وأسباب التفوق فيها من أهلها، والإفادة من نجاحات الأمم الأخرى وتجاربها، فتفاصيل الأمور الدنيوية ليست موقوفة على النص الشرعي، والقرآن العظيم قد أشار إلى الرجوع إلى أهل الاختصاص في جميع القضايا، وهذا يعتبر نوعا من البيان لها.

قال ابن عثيمين: من الله علينا بكتابه العزيز الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [سورة فصلت، الآية: 42] وجعله سبحانه وتعالى تبيانا أي مبينا لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم، ثم إن تبيان القرآن للأشياء ينقسم إلى قسمين: الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [سورة المائدة، الآية: 3] وقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما × والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [سورة النساء، الآيتان: 23-24].

الثاني: أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ فأشار الله تعالى إلى الحكمة التي هي السنة، فإنها تبين القرآن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة النحل، الآية: 43] وأيضا [سورة الأنبياء، الآية: 7].

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به، ولهذا يذكر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم وكان في مطعم، فقال له هذا النصراني: أين بيان كيف يصنع هذا الطعام؟ فقال: إن الله - عز وجل - يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم بها، وهذا من بيان القرآن بلا شك، فالإحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم. اهـ

وتفصيل الكلام عما يتعلق بأسباب التقدم الاقتصادي في القرآن العظيم ليس مجاله الفتوى، بل يحتاج إلى بحوث وتصانيف، فهناك قضايا عديدة تتعلق بهذا الموضوع: كبيان القرآن العظيم لأهمية الأخذ بالأسباب، وأنه لا يناقي التوكل على الله والاعتماد عليه في تحصيل المسببات، وأن الأسباب الشرعية - سبب كتقوى الله وطاعته - سبب من أسباب التوفيق لتحصيل القوة المادية، وأن القوة المادية ليست دليلا على خيرية عند الله، فقد يعطيها الله لأعدائه، ويمنعها أولياءه لحكم عظيمة، وبيان أن تحصيل المسلمين للقوة المادية ليست مقصودة لذاتها، وإنما مقصودها الأعظم إقامة دين الله، ونصرة شرعه، وكذلك ما في القرآن العظيم من تشريعات تتعلق بالاقتصاد: كتحريم الربا، وإيجاب الزكاة، ونحو ذلك، وكذلك ما في القرآن العظيم من إشارات لقضايا اقتصادية، كاستشراف المستقبل، والتدبير للأزمات، كما في قصة يوسف عليه السلام حين عبر رؤيا الملك، وعمل بها، وغير ذلك.

نزل التكليف الإلهي بالاستزادة من العلم لكلا الجنسين

المرأة ودورها .. في علم الحديث

نزل التكليف الإلهي الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ للناس جميعا، حيث تلقاه الرجال والنساء بكل لهفة، من أجل الاستزادة من العلم، وتعلم شؤون دينهم، شعورا منهم بالمسؤولية التعليمية، وكان تعليمه صلى الله عليه وسلم للرجال والنساء واستقباله لهم على درجة واحدة من الاهتمام، ونزلت العديد من آيات القرآن، تخاطب المرأة بما تخاطب به الرجل، وهي أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقال، منها قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: 9]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

دور المرأة في المجتمع

ينظر إلى دور المرأة في المجتمع ضمن الرؤية الإسلامية الشاملة، وضمن الضوابط الشرعية التي تحكم حركة المجتمع، وعطاؤها في جميع ميادين الحياة من أعلى أنواع الأهلية، وارقى مراتب التكريم، ذلك أن كل أحكام الدين كانت تتلقى وتنقل من المرأة جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل، وقد كانت المرأة منذ فجر الإسلام سباقة للاطلاع على أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقواله وأفعاله، كيف لا وهي الزوجة الملازمة له صلى الله عليه وسلم في أكثر أحواله وأوقاته، من بيتها بدأ الوحي، فكانت زوجته خديجة رضي الله عنها هي أول الناس إيمانا وتصديقا، ثم بدأ الوحي يتوالى، في حجرات أمهات المؤمنين، فكان لهن شرف الاهتمام بالسنة، بل يصعب أن نجد مهمة للرجال في طلب الحديث وحفظه وتدريسه غير مهمة الرحلة في طلبه، التي كان يختص بها الرجال دون النساء لأسباب معروفة لنا جميعا.

وما كانت هذه المكانة لتكون لولا اهتمام المصطفى صلى الله عليه وسلم بها ورعاية الإسلام لها الرعاية الكاملة، من حيث تعليمها وتنشئتها وإعدادها الإعداد النفسي والفكري، ومشاركتها في مجالس العلم، مما زاد في فضلها ومكانتها وجهودها في نشر الإسلام وتعليمه منذ عهد الصحابة، ثم التابعين وتابعيهم فيما بعد في كل زمان ومكان، فالإسلام أراد للمرأة أن تكون حاضرة شاهدة لمواطن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستزيدة من التوجيه النبوي، ومن ثقافتها ومعرفتها الشرعية في كل شؤون حياتها، فلم تغب عن حضور الصلوات وحلقات العلم في المسجد امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) رواه البخاري، ولم يحصل هذا الغياب منها إلا في أزمان الانحطاط التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال تاريخها الطويل.

أما ما يخص طبقات الرواة من النساء القرون الثلاثة الأولى، فإن الطبقة الأولى هي طبقة الصحابيات، فقد بلغ عدد قائمة الصحابيات التي وردت لهن أحاديث في مسند بقي بن مخلد (216 صحابية)، ثم طبقة التابعيات، والتابعية هي من لقيت الصحابي، وهناك عدد كبير ممن لقين الصحابة والصحابيات، وروين عنهم أحاديث في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع.

ومن أشهر التابعيات الذين عرفن واشتهرن برواية الحديث: خيرة أم الحسن البصري - مولاة أم المؤمنين أم سلمة -، وزينب بنت كعب بن عجرة - زوج أبي سعيد الخدري -، وصفية بنت أبي عبيد بن مسعود - زوج عبد الله بن عمر -، وزينب بنت نبيط - زوج أنس بن مالك -، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن، ومعاذة بنت عبيد الله العدوية، وعائشة بنت طلحة، وغيرهن الكثير مما يصعب حصره وبيانه.

المرأة والرحلة في طلب الحديث

حتى في مجال الرحلة في طلب الحديث، رغم صعوبته على النساء، إلا أن رحلتهن كانت قائمة منذ عهد الصحابة، فقد كان الصحابة والصحابيات يسافرن من أجل لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمعن منه القرآن والسنة، وكان صلى الله عليه وسلم يرحب بهم جميعا، ويعلمهم الإسلام، ويجيبهم على أسئلتهم، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته من روت من النساء عن النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف القبائل، وذكر من جاءته للبيعة ونقلت عنه بعض الأقوال أثناء تلك الأحداث المهمة، ومن الأمثلة على ذلك قصة الصحابية قيلة بنت مخرمة العنبرية التي كانت مع وفد بني بكر بن وائل، والتي تعطي تصورا واضحا عن مدى تحملهن للمشاق في سبيل ذلك، ولا ننسى في هذا المجال رحلتهن إلى الحبشة بصحبة أزواجهن.

أما رحلتهن بعد عصر النبوة، فقد انتقل نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمصار المختلفة، وكذلك رحلت أم عطية الأنصارية، وأسماء بنت يزيد بن السكن، بالإضافة إلى عدد كبير من الصحابيات، اللواتي انتشرن في الأمصار، مع أبنائهن وبناتهن، ولا ننسى في هذا المقام من كن يرحلن من الأمصار الأخرى إلى مكة والمدينة من أجل الحج وغيره.

المرأة وعدد الروايات في كتب السنة

أما عن دور المرأة في روايات كتب السنة، فنجد أن مجموع من لهن روايات من الصحابيات في الكتب الستة بشكل مباشر أو غير مباشر، بلغ حوالي مائة وخمس عشرة صحابية، حيث روى الإمام البخاري في صحيحه عن إحدى وثلاثين صحابية، وروى مسلم عن ست وثلاثين صحابية، وروى أبو داود عن خمس وسبعين صحابية، والترمذي عن ست وأربعين صحابية، والنسائي عن خمس وستين صحابية، وابن ماجه عن ستين صحابية.

مما سبق يتضح لنا أن عدد الروايات في الكتب الستة عن التابعيات بجميع طبقاتهم بلغ حوالي مائة وثلاث روايات، وهو موزع عبر الطبقات، ويلاحظ أنه يقل تدريجيا، ويدل كذلك أن عدد رواياتهن أقل من عدد روايات الصحابيات.

ومن خلال تتبع كتب الطبقات، وتتبع كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام المزي، وتتبع كتابه تهذيب الكمال، أو كتاب تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر يتبين لنا أن حجم رواية النساء في الكتب الستة ليس بالعدد القليل، حيث تبلغ عدد روايات النساء في الكتب الستة من مجموع الكتب الستة حوالي 2764 حديثا، منها 2539 رواية للصحابيات، منها حوالي 2081 رواية عن أم المؤمنين عائشة وحدها، ومنها حوالي 225 رواية لسائر النساء الراويات من غير الصحابيات.

ومما ينبغي ذكره أن الأحاديث التي روتها المرأة في كتب السنة كانت مادتها تتعلق بجميع أمور الحياة، من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والآداب، وغيرها، وقد اشترك في نقلها إلى الناس النساء مع الرجال، غير أن كتب الحديث أوردت بعض الأحاديث التي تفردن بها، ولم يروها غير النساء، فكانت مرجعا في الأحكام والاستدلال الفقهي، كحديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن النبي صلى الله عليه وسلم في نفقه وسكنى المبتوتة، وحديث أم عطية في غسل الميت، الذي يعد أصلا في هذا الباب، وغيره من الأحاديث الشريفة.

المرأة ونقد الحديث

أما في مجال نقد الحديث، فلا أدل على ذلك من أن أم المؤمنين عائشة قد امتازت بالفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كانت تكثر طرح الأسئلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حول كل ما يمر بها، وكانت تستدرك على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من رواياتهم أو فهمهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ألف في هذا المجال الإمام الزركشي كتابه المشهور: «استدراكات عائشة على الصحابة»، وكان من منهجها في نقد الروايات تقوم على معارضة الروايات بالنصوص القرآنية، وتصحيح الرواية ببيان الخصوصية لم تأييدها بالأية، وتصحيح الرواية بجبر النقص فيها وتأييدها للأية، ومعارضة الروايات بما تعلمه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله.

مساجد الإسلام ..في كل مكان

المسجد الكبير بالجزائر

المسجد الكبير في الجزائر العاصمة يطلق عليه كذلك اسم المسجد العتيق و المسجد جامع - هو أقدم مسجد قائم في الجزائر العاصمة ويقال انه الأقدم في المغرب الاوسط (الجزائر) بعد مسجد سيدي عقبة ببسكرة و يعد إلى جانب الجامع الكبير في تلمسان و الجامع الكبير في ندرومة واحدا من الآثار القليلة المتبقية من العمارة المرابطية.

يرجع تاريخ بناء الجامع الكبير إلى القرن الخامس هجري خلال امتداد حكم سلالة المرابطين للمغرب الأوسط على يد مؤسس الدولة أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين وبالضبط في الأول من رجب عام 490 للهجرة الموافق ل 18 جوان سنة 1097 م ويعتقد أنه قد شيد على أنقاض كاتدرائية مسيحية تعود إلى العهد الروماني .فيما يعود تاريخ بناء مئذنته إلى سنة 1324 م (1332 م في بعض المصادر)

يقع الجامع الكبير في الجزء الشمالي الشرقي من العاصمة في منطقة القصبة التاريخية بالقرب من الميناء .. نهج البحرية سابقا - عن يسار غرفة التجارة في اتجاه البحر بين شارع المرابطين و شارع سعدي و مختار بن حفيظ مطلا على مدخل المدينة إلى ميناء العاصمة البحري و حسب المصادر التاريخية فقد كان محاذيا لسوق كبيرة في ذاك الوقت مما جعله قبلة المصلين ووجهة لطلبة العلوم الدينية.

اعتمد المؤرخون في تحديد تاريخ بناء الجامع الكبير بالعاصمة على الكتابة المنقوشة على منبره فاضحى بذلك مادة تاريخية لا يستهان بها . وتم اكتشاف هذا الأثر التاريخي في المسجد الكبير بالعاصمة بعد 90 سنة من الغزو الفرنسي للجزائر . كان ذلك من باب الصدفة . فالمنبر الذي يصعد فوقه الإمام كل يوم جمعة لإلقاء خطبة الجمعة معروف منذ القدم . ورغم تعرض المسجد لعدة هجمات للقوات الاستعمارية ارتأى معماريون فرنسيون الإبقاء عليه منهم المعماري كريستوف باعادة بناء الواح المنبر التي تآكلت ليتم تركيبها فوق هيكل حديدي متحرك، وتتضمن النقوش التي يزادن بها منبر هذا المسجد وهي مكررة ثلاث مرات بالخط الكوفي تاريخ انشائه حسب ماذكره بارقاس في مجلة الشرق الأوسط سنة 1857 كما نقلها دفولوكس في ترجمته لدراسة اعدت سابقا حول المباني الدينية بالجزائر العاصمة سنة 1870 أما كولين فقد دونها في الصفحة الأولى في مدونته التي صدرت له بالجزائر سنة 1901 لكن المثير في الأمر أنه لا أحد اهتم بموضوع النقش المعماري الذي يحمل كتابة تاريخ بناء المسجد الكبير . . وحسب نفس المصدر فان هذا المنبر لفت انتباه الأثريين و مؤرخي الفن الإسلامي محدثا ضجة وتضاربا بينهم وقد بناه يوسف بن تاشفين في الأول من رجب عام 490 للهجرة الموافق ل 18 جوان سنة 1097 م وفق نموذج العمارة الدينية المرابطية ليكون وقتئذ أكبر مساجد الدولة.